لا تلازم بين اللغة وانتشار الإسلام

للدكتور محمد عبد الرحمان مرحبا

جامعة بيروت العربية ـ لبنان

اني لا اجد اي **علاقة او تلازم بين انتشار الاسلام وانتشار اللغة العربية** ، فالمعلوم ان الكثيرين دخلوا في الاسلام (هنود واتراك و ...) عن يد دعاة مسلمين ليسوا عربا ، فاللغة العربية كانت مجرد اداة من الادوات التي استعملها الاسلام لنشر تعاليمه لا سيما وان قطاعا كبيرا من العالم العربي لا يدين بالاسلام .

وها نحن في لبنان قد تحدث عندنا حزازات طائفية بين المسلمين والمسيحيين ، وهذه الحزازات لها عوامل كثيرة ليس من بينها عامل اللغة العربية فهي لغة الجميع .

ان الوعي الاسلامي والوازع الديني لا يقويان او يضعفان عندنا تبعا لما يعتري اللغة العربية من قوة او ضعف بل تبعا لعوامل سياسية يعززها الاستعمار والرجعية والجهل .

وانطلاقا من هذه النظرة ايضا لا ارى اي **تاثير للفكر الاسلامي في اللهجات او اللغات الاقليمية** من الاقطار الاسلامية غير العربية لا لشيء الا لاني لا **أرى علاقة بين الاسلام واللغة العربية** اللهم الا العلاقات التاريخية .

ان اللغة العربية يجب ان تحتل المكانة الاولى في بلدنا مسلمين ومسيحيين بالنسبة الى الفرنسية او الانجليزية ، وهذا ما هو واقع بالفعل ويعمل المسؤولون عندنا على الاهتمام به .

مدينة ـ وهي جميعها حصيلة الانحطاط ، ومن رواسب الاستعمارين الفكري والسياسي المتماديين ـ منذ استولى الاعاجم على الحكم فى بغداد وسواها من عواصم الاسلام .

فى هذه الاثناء ـ خلال قرون الانحطاط والظلام ـ كانت مدارس الاديرة فى جبل لبنان ، والصوامع ، ورهبانها ، وكهنتها ، يعكفون ، كائمة المساجد ، وشيوخ الجامعات العربية الاسلامية ، فى شمال افريقيا ومصر والعراق على درس اللغة العربية وتدريسها ، الى جانب اللغات الاخرى التي تستدعي الحياة الكهنوتية دراستها ـ من سريانية ويونانية ولاتينية .

11 ـــ وهذا الواقع اثمر ثمرتين هما اولا : استمرار التلاقح بين لغتنا واللغات الاخرى ، وبالتالي اغناء هذه اللغة العربية بالمفردات والتعابير والاساليب .

وثانيا : تأثر الكتابة العربية ببعض الاصطلاحات السريانية ، وتأثر النطق ايضا . فحرف السين مثلا يرسمه المتعلمون ، فى المدارس الكهنوتية ، تعلوه شارة خاصة شبيهة بنقاط الشين (8) ـ والجيم ـ الحرف القمري فى اللغة العربية ، يلفظونه كانه حرف شمسي. والتاء المربوطة ، يلفظونها ، عند الوقف ، تاء مبسوطة ـ لا هاء ـ كما يقتضي ذلك علم التجويد ، وحسن اخراج الحروف .

وهناك تأثير ابرز ، فى اللغة العربية المحكية ، فى كثير من القرى اللبنانية ـ فى الشمال ـ وبعض المدن ـ تأثير جاء اليها من السريانية بالذات . ومثاله لفظ الالف ـ حرف المد المعروف ـ كانه (واو) . فطرابلس ، تلفظ هناك (طروبلس) ـ تأثرا باللهجة السريانية ذاتها التي تأثر بها كتبة الوحي . فخطوا (صلاة وحياة ...) هكذا (صلوة ، حيوة ...) في المصاحف الشريفة .

كما اننا نجد كثيرا من الكلمات الكنعانية (الفينيقية) ما برحت لليوم جزءا من اللغة المحكية ـ التي هي اساسا حصيلة تشويه أو تحريف للغة العربية وما سبقها ، وما دخل فيها من الالفاظ الاعجمية المحرفة ـ الامر الذي يشجع دعاة احلال العامية محل اللغة الصحيحة ، على المضي فى دعوتهم .

كما يشجع بعض الفئات على العمل لبعث الحروف الفينيقية (الكنعانية) .

12 ـــ ومن الفضول ان نذكر هنا بقيمة اللغة فى حياة كل امة ، على صعيد الثقافة العامة أو القدرة الانتاجية ، والمشاركة فى الحضارة الانسانية .

ولساننا العربي اغتنى،على مر القرون ـ بتلاقحه مع الالسنة الاخرى . وجاء التعريب ، بعد الاشتقاق ، ليزيد فى ثروة هذا التراث اللغوي الذي لا مثيل له ، لدى سائر الامم .

وما علينا اليوم الا ان نتابع السير على هذا الطريق المعبد ـ وبسرعة ـ ودون تحديد لنطاق الاشتقاق أو التعريب ـ .

13 ـــ والخلاصة ان **اللغة العربية**،فى انتشارها لم **تكن عالة على الاسلام** . ولا انتشر الاسلام بفضل اللغة العربية . انما كان ثمة بينهما تبادل فى التأثر والتأثير كما كان مثله بين المسيحية واللغة السريانية ـ اولا ـ ثم بينها وبين اللاتينية وما تفرع منها ، فيما بعد .

ولا شك ان كل تيسير وازدهار يتناولان اللغة العربية يؤولان الى انتشارها ، كما يسهلان ادراك الاسلام على حقيقته ـ فى أوساط المسلمين اولا ـ ثم فى الاوساط الاخرى .

الهوامش :

1) ـــ تاريخ العرب ج 1 الطبعة الرابعة للدكاترة فيليب حتي وجرجي وجبور .
2) ـــ المصدر نفسه ج 1 ص 10
3) ـــ الاشتقاق والتعريب ص 12 للمرحوم الشيخ عبد القادر دارغوث الشهير « بالمغربي » مطبعة الهلال بمصر 1908 .
4) ـــ تاريخ العرب ج 1 الطبعة الرابعة .
5) ـــ الاشتقاق والتعريب المذكور آنفا .
6) ـــ وقد نشأ عن هذا الخليط من اللفظ العربي والحرف السرياني ما يعرف للآن باللسان «الكرشوني» وبه كتبت اسفار كنسية كثيرة .
7) ـــ ذلك لان « السين » فى العربية هي (شين) في السريانية : سمس (السريانية) هي (شمس) العربية .